الجامعة	**الأنبار**
الكلية	**التربية للبنات**
القسم	**التأريخ**
المرحلة	**الثالثة**
اسم المادة باللغة العربية	**فلسفة التأريخ**
اسم المادة باللغة الانكليزية	**Philosophy of History**
اسم التدريسي	**د.فاطمة سامي شهاب أحمد**
عنوان المحاضرة باللغة العربية	**مساهمات العرب والمسلمين في تطورعلم التاريخ**
عنوان المحاضرة باللغة الإنكليزية	**The contributions of arabs and muslims to the development of historical science**
رقم المحاضرة	**السادسة**
المصادر او المراجع	**المفصل في فلسفة التاريخ هاشم الملاح**

المحاضرة السادسة

مساهمات العرب والمسلمين في تطورعلم التاريخ The contributions of arabs and muslims to the development of historical science

قبل الإسلام:

تتبين مساهمات العرب والمسلمين على صعيد التدوين التاريخي من خلال ما قدموه من معالجات موضوعية لمفهوم التاريخ وتفسير صيرورته وتطوراته. وقد رفد التدوين العربي للتاريخ عملية التدوين التاريخي عموماً بالعديد من الوسائل والطرق للكشف عن الماضي ومعالجته والوصول من خلال الوثائق الدالة عليه إلى النتائج التي تحاول أن تحوز على أعلى قدر من الدقة والصدق.

وقد كانت أولى صور تلك الوسائل التي اعتمدها العرب في تدوين تاريخهم هي المشافهة، فعلى الرغم من ثراء المناطق العربية بضرب من التاريخ المأثور بالكتابة، بحكم كون أغلب تلك المناطق قد شكلت مراكز للحضارة، إلا أن ما وصل إلى أيدي المؤرخين من نقوش وآثار لا يتناسب مع المستوى الذي من المفترض أن تكون عليه تلك المناطق، ويزداد عدم التناسب هذا كلما كان الاتجاه نحو الشمال، بسبب الاعتماد بشكل كلي على التاريخ المروي دون التاريخ المدوَّن.

وكانت أغلب تلك الروايات تدور حول**"أيام العرب"** وحروبهم قبل الإسلام وأنسابهم وأخبار بعض القبائل البائدة مثل "عاد" وثمود" وغيرها. وقد استمر تداول قصص "أيام العرب" وأخبار الأمم المجاورة **"شفاهاً"** حتى العصر الأموي، حين ظهرت أولى كتب التدوين لتاريخ تلك الحقبة على يد "عبيد بن شريه ت 70 هـ" والذي ألف لمعاوية ابن أبي سفيان (رضي الله تعالى عنه) كتاب "الملوك وأخبار الماضين".

وقد كان الشعر من أبرز الفنون التي عرفها العرب واستعملوها للدلالة على تاريخهم العريق، فعلى الرغم من معرفة العرب بالكتابة منذ عهود طويلة، إلا أن ندرة التدوين عندهم هي التي تغلب على عملية صناعة التاريخ، وذلك يعود إلى أن العقلية العربية كانت أقدر على قرض الشعر منها على معالجة كتابة التاريخ، وقد وصف الشعر بأنه "ديوان العرب"، وفيه تحفظ وقائعهم وأحوالهم وعاداتهم وتقاليدهم وخصالهم.

وعلى الرغم من طابع المغالاة والخيال التي تميز القصيدة العربية إلا أن الوقائع التي تتضمنها القصيدة تكون على جانب كبير من الحقيقة والصواب.

ومما ميز التدوين العربي للتاريخ، هو الاعتماد على كتابة **"الأنساب"**، إذ يعد هذا الحقل من السمات المميزة للطابع العربي في التدوين التاريخي ويكاد العرب يتميزون به عما سواهم مما

جاورهم من الأمم، إذ تعد رواية "الأنساب" وحفظها من المآثر المهمة للتاريخ القبلي عند العرب، وذلك لأن الاحتفاظ بشجرات الأنساب يعد من الاعتبارات الاجتماعية المهمة قبل الإسلام، ثم عاد الاهتمام بها بعد الإسلام لاعتبارات سياسية فرضت في العهدين الأموي والعباسي، وكان أبرز كتاب الأنساب هو "محمد بن السائب الكلبي ت 146 هـ" وكذلك أبنه "هشام".

بعد الإسلام:

لقد ظهر "الاتجاه العلمي" في التدوين التاريخي عند العرب منذ أن ظهرت الحاجة إلى تدوين سيرة الرسول الكريم محمد "صلى الله تعالى عليه وسلم" و"مغازيه". وتعد المدينة المنورة الموطن الأول لمثل هذا التدوين. وبينما تبحث "المغازي" عن الغزوات والحروب التي اشترك فيها رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله تعالى عنهم، وتبحث كذلك في مناقب المجاهدين، فإن السيرة تبحث في شخصية الرسول "عليه الصلاة والسلام" وأقواله وأفعاله، ويعود السبب في الاهتمام بها إلى تأكيد القرآن الكريم على أن أقوال النبي "صلى الله تعالى عليه وسلم" موحى بها من الله تعالى مصداقاً لقوله تعالى {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى}، وكذلك فإن سيرته "عليه الصلاة والسلام" هي مثل للمسلمين يعتدون به ويعتمدون عليه في التشريع والتنظيم.

وقد توسعت دراسة "المغازي" فيما بعد، فأصبحت تشمل الوقائع والحروب التي خاضها العرب بعد وفاة الرسول "عليه الصلاة والسلام"، ضد الأمم الأخرى في سبيل نشر الإسلام، وكذلك الوقائع والحروب التي وقعت بين المسلمين أنفسهم. وتجدر الإشارة بالبنان إلى "أبان بن عثمان ت 105هـ" بصفته أول من ألف في "المغازي"، إلا أنه لم يكن لديه منهج معين في التأليف، وقد وضع أول منهج في كتابة "المغازي" على يد "محمد بن عمر الواقدي ت 207هـ"، كما ويعد كتاب "السيرة" لـ "ابن اسحق" مظهراً لتطور التدوين التاريخي عند العرب، وقد تميز كاتب هذه السيرة عن غيره في أن كتابه كان يمثل تأريخا للنبوة وبالتالي فهو أول من حاول تدوين تاريخ الرسول الكريم "عليه الصلاة والسلام" في إطار نظرة شاملة لتاريخ الرسل وتاريخ الإنسانية. وكذلك توسعت دراسة "السير" وتطورت إلى دراسة "التراجم" و "الطبقات". وتعد معاجم "التراجم" دليلاً آخر على التطور المستمر للتدوين التاريخي، ويشار إلى كتاب "الطبقات الكبرى" لمؤلفه "محمد بن سعد ت 230هـ" بوصفه أول كتاب يعبر عن هذا التطور في تدوين التاريخ، ويحتوي الكتاب على تراجم الصحابة والتابعين والخلفاء"رضي الله تعالى عنهم" إلى زمن المؤلف. وقد وصف أدب "التراجم" بأنه من أغنى الفنون التاريخية لدى العرب وهو في تراثه وتنوعه يعكس رغبة المجتمع في التعرف على تفاصيل الحياة العامة والخاصة للمعنيين بتلك التراجم.

العوامل المؤثرة على التدوين التاريخي الإسلامي:

لقد كان لعامل التطور السياسي والتوسع العمراني أثر بارز وواضح على مسيرة عملية التدوين التاريخي، وذلك من خلال الانتقال الملحوظ من التدوين التاريخي العام إلى نطاق أضيق ينحصر في التدوين التاريخي لإقليم من الأقاليم أو بلد من البلدان، ومن ألمع الأمثلة على ذلك التحول هو كتاب "تاريخ مصر وفتوح المغرب" الذي ألفه "عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم ت 257هـ"، وكتاب "الإكليل" لـ "الهمداني ت 334 هـ"، والملاحظ على ذلك النوع من التدوين هو اعتماد المؤرخين على الوثائق الرسمية والروايات التي يزودهم بها ذوي النفوذ والسلطان في البلاد كالعمال في الأقاليم ورؤساء الديوان وغيرهم.

وثمة انعكاس آخر للتوسع السياسي والعمراني والحضاري، أدى إلى الزيادة في التخصص في عمليات التدوين التاريخي، وتجلى في التدوين لشريحة معينة من المجتمع وتأريخ طبقة معينة من طبقات الأمة مثل كتاب "تاريخ الوزراء" لـ "محمد بن عبدوس الجهشياري ت 331هـ"، وكتاب "قضاة مصر" لـ" محمد بن يوسف الكندي ت350 هـ".

مدارس التدوين التاريخي الإسلامية:

استخلص الباحثون والمؤرخون في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية مدارس عديدة في التدوين التاريخي عند العرب، وقد عدت كل من هذه المدارس مظهراً يعبر عن خصوصية في التدوين بفعل تأثير العوامل الاجتماعية والسياسية والفكرية على البيئة المحيطة بكل منها. وقد قسمت تلك المدارس إلى مدارس صغرى ومدارس كبرى، وعرفت المدارس الصغرى بمدارس الشام واليمن وفارس، بينما مثلت مدرستا المدينة والعراق المدارس الكبرى.

أ- المدارس الصغرى:

-مدرسة الشام:

ساعدت ظروف جاذبية الشام كعاصمة سياسية للدولة من جهة ورغبة البيت الأموي في الثقافة التاريخية من جهة أخرى على استقطاب عدد من العلماء والإخباريين، الأمر الذي أدى إلى ولادة هذه المدرسة. وقد ساعد على تعزيز هذه المدرسة وزيادة أهميتها وجود الرواة ومنهم بعض الصحابة مثل "أبي أمامة الباهلي" و"عبادة بن الصامت"، وكذلك الرواة التابعين ومنهم "أبو عثمان الصنعاني" و"شرحبيل بن مرئد". ويعد "عبيد بن شريه الحضرمي" و "عروة بن الزبير بن العوام" النواة العلمية لهذه المدرسة.

- مدرسة اليمن:

كان للتنافس القديم بين عرب الشمال وعرب الجنوب، والرغبة في إثبات الوجود اليمني بجانب الوجود القيسي الشمالي في العهد الأموي، دور بارز في ولادة هذه المدرسة.

وكان المنهج القصصي والأسطوري هو الصفة الغالبة على اتجاه هذه المدرسة في التدوين، وكان لمؤسسها "كعب الأحبار" دور بارز في دخول الخيال كعامل رئيسي في التدوين التاريخي على حساب النصوص المدونة، فكانت النتيجة تدوين روايات تاريخية منسوجة على غرار "أيام العرب"، وكذلك نحلت أنساب وفتوحات لا ظل لها في الواقع.ويرى المؤرخون أن الانشغال بالفتوحات في الشام ومصر والعراق وخراسان، ونزوح الكثير من أهل اليمن عن بلادهم، وعزلة اليمن وقلة الاهتمام بها هي التي أدت إلى وصول عملية التدوين التاريخي إلى المستوى الذي كانت عليه، والذي لم يضطلع أحد من المؤرخين بمهمة تصحيحه إلا "الهمذاني".

ومن أهم من مثل هذه المدرسة هم "كعب الأحبار" و "ابن مفرع الحميري".

- مدرسة فارس:

لعل إثبات الوجود القومي والعلمي للفرس قد شكل الدافع الرئيسي لهذه المدرسة، وذلك من خلال كتابة التاريخ الفارسي باللغة العربية.

وبسبب مجاورة بلاد فارس للعراق الذي كان مركزاً للحضارة، والذي اتخذته هذه المدرسة مركزاً لها، وبسبب كون العراق مركزاً للخلافة والحكم لعهود طويلة، يعتقد أن الشعوبية كانت المحرك الذي تسير بموجبه عجلة هذه المدرسة، ولذلك قدمت هذه المدرسة صورة لتاريخ الفرس رسمت بألوان زاهية تتوافق مع اتجاهها الشعوبي. ومن أبرز من مثل هذه المدرسة "أبو سليمان يونس الكاتب" و "عبد الله ابن المقفع" و "الهيثم ابن عدي" وغيرهم.

ب-المدارس الكبرى:

-مدرسة المدينة:

كان للمدينة المنورة أهميتها الخاصة لكونها عاصمة الرسول "صلى الله عليه وسلم" والخلفاء الراشدين "رضي الله عنهم"، كما كانت مركزاً لتجمع الصحابة "رضي الله تعالى عنهم".

وبالنظر لاهتمام المدرسة بالسيرة والمغازي، فقد خضع منهج التدوين التاريخي فيها إلى منهج علم الحديث، حيث عدت سلسلة الإسناد ضرورية للتثبت من صدق الحقيقة التاريخية. كما اهتمت هذه المدرسة بالتقويم الذي يعني ذكر تاريخ وقوع الحوادث بصورة دقيقة بحكم التصاق أصحاب هذه المدرسة بالأحداث ومصاحبة الكثير منهم للرسول "عليه الصلاة والسلام".

ويعد "عبد الله بن العباس ت 78هـ" مؤسس المدرسة العلمية لمختلف فروع العلم في المدينة المنورة، لسعة معرفته بأخبار الماضين وبالأنساب والشعر واللغة والتفسير والفقه والحساب والفرائض.

وتعاقب على هذه المدرسة جيلان من رواة المادة التاريخية، وأشهر رواة الجيل الأول هم "سعيد بن المسيب" و "أبان بن عثمان" و "عروة بن الزبير بن العوام" ومن التابعين كان "شرحبيل بن سعد" و "عبد الله بن كعب". أما أشهر رواة الجيل الثاني فكان "عبد الله بن أبي بكر ابن حزم ت 130هـ".

ـ مدرسة العراق:

تأسس على خلفية تحرير العراق من السيطرة الفارسية وإنشاء الأمصار التي كالكوفة والبصرة وحروب التحرير والفتوح وهجرة العرب إليه، تيار ثقافي إسلامي حل محل التيارات القديمة.

ولقد اهتمت حركة التدوين التاريخي في مدرسة العراق في بداياتها الأولى بأخبار العرب وأيامهم وأنسابهم. ثم ظهر الاهتمام بالتاريخ الإسلامي في العصر الأموي نتيجة الصراعات التي كانت تدور حول الحكم في تلك الفترة، ثم تأثرت عملية التدوين التاريخي بالتيار الشعوبي الذي برز في العصر العباسي، حيث نجد أن الكثير من علماء هذه المدرسة كان يصنف بصفته الفارسية والعراقية في آنٍ معاً.

ومن أبرز السمات المميزة للمدرسة العراقية هو الانتقال من الاهتمام بتاريخ القبيلة إلى الاهتمام بمجموع القبائل وهذا بالنسبة للنسابين وبهذا تكون المدرسة العراقية في مجال الأنساب مضاهية لمدرسة المدينة في الطبقات، كما تجاوز اهتمام الإخباريين القبيلة نحو الاهتمام بالأمة. وكذلك تميزت المدرسة العراقية بتوفر المرونة الكافية لدى علمائها للحصول على روايات ذات مصادر متنوعة وذلك نظراً لاحتلال العراق مركزاً جغرافياً مهماً ووقوعه في وسط الدولة الأموية.وكذلك تميز رجال هذه المدرسة باستخدام الوثائق كالعهود والرسائل الرسمية التي تم حفظها في دواوين الدولة في مختلف أمصارها. وقد تميز التدوين التاريخي أيضاً بالاعتماد على الشعر بسبب قوة النزعة القبلية في تلك الفترة.

ومن أبرز رواة المدرسة العراقية "أبو عمر بن شراحيل الشعبي" و "يونس المغني"، أما أبرز الإخباريين فكان "أبو مخنف لوط بن يحيى" و "عوانة ابن الحكم"، أما أبرز النسابين فكان " محمد بن السائب الكلبي".